نحو أفراح وأحوال التّائبين

(خطبة الجمعة لفضيلة الشّيخ عبد الحق شطّاب – حفظه الله –

بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ – رحمه الله –

في اليوم 17 من صفر 1435هـ الموافق لـ 20 ديسمبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نِعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ "سورة النّساء.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ "سورة آل عمران.

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴿71﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ - صلّى الله عليه وآله وسلّم - ،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

موضوع حديثنا، معاشر الإخوة الكرام:

نحو أفراح وأحوال التّائبين

معاشر الإخوة الكرام،

في كلّ شهرٍ، بل كلّ أسبوعٍ، بل قل كلّ يومٍ، يقبل على الله تعالى وعلى الإسلام والرّجوع إلى الرّحمٰن عبادٌ للملك الدّيّان، هناك من تجده ينظر إلى التّائب وكأنّه غريبٌ، ومن النّاس من ينظر إلى تاريخ التّائب وكأنّه لا يحقّ له اللّحاق بأهل الصّلاح والخير، وينسى هذا أنّه كان مثله.

" . . . وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿94﴾ " **سورة النّساء.**

وعليه فالمؤمن ينبغي له أن يفرح بقدوم أخيه إلى رحاب الله تعالى، ويشدّ أزره ويرّحب به ويسنده، كيف لا والله تعالى يفرح بعبده التّائب، ثبت في الحديث المتّفق عليه قال عليه الصّلاة والسّلام: { **لَلَّـــهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عبده من رجلٍ نزل منزلاً وبه مهلكةٌ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومةً، فاستيقظ وقد**

ذهبت راحلته، حتّى إذا اشتدّ عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله، قال: (أَرْجِعُ إلى مكاني)، فرجع فنام نومةً، ثمّ رفع رأسه فإذا راحلته عنده }.

كيف لا يفرح المسلم بقدوم أخيه التّائب إلى فسحة الإسلام، والحديث الّذي رواه مسلمٌ، يقول النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – فيه: (**إنّ الله عزّ وجلّ يبسط يده باللّيل ليتوب مسيء النّهار، ويبسط يده بالنّهار ليتوب مسيء اللّيل، حتّى تطلع الشّمس من مغربها**).

أي باب التّوبة مفتوحٌ إلى قيام السّاعة، الله عزّ وجلّ ينادي العاص: (**تعالى! أَقْبِلْ عَلَيَّ!**).

إعلموا، إخوتي الكرام، أنّ التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له، كيف لا وقد وعد الله تعالى من يقترف أكبر الكبائر كالشّرك والقتل والزّنا، بأن يبدّل إليه سيّئاته حسناتٍ إن تاب وآمن وعمل صالحًا.

قال تعالى:

" وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿68﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿69﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا

صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ 70 ﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿ 71 ﴾ "

سورة الفرقان.

فهنيئًا هنيئًا لك أيّها التّائب، الّذي أَتْبَعْتَ سيّئاتك بحسناتٍ ماحيةٍ مطهّرةٍ منجيةٍ.

كما قال تعالى:

" **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿ 114 ﴾** " **سورة هود.**

فالتّائب إلى الله تعالى ينبغي أن يتبع توبته عملاً صالحًا تؤدّى فيه الفرائض وتجتنب فيه الكبائر، وليعن نفسه بهجران رفقاء السّوء، فإنّ المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل.

تعالوا معي، إخوتي الكرام، نرى كيف كانت توبة السّلف رضوان الله عليهم، والحديث رواه مسلمٌ في صحيحه عن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ – رضي الله عنه – :

{ **الغامديّة امرأةٌ وسوس لها الشّيطان يومًا، وأغراها برجلٍ فخلا بها عن أعين النّاس، وكان الشّيطان ثالثهما، فوقعا في الحرام، فلمّا فرغت من جرمها تخلّى عنها الشّيطان، بكت وحاسبت نفسها، وضاقت حياتها، وأحاطت بها خطيئتها، حتّى**

أحرق الذّنب قلبها، فهرعت إلى النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – ووقفت بين يديه، وصاحت من حرّ ما تجد في قلبها، قالت: (يا رسول الله! زَنَيْتُ فطهّرني!)،

فأعرض عنها، فجاءت من شقّه الآخر، فقالت: (يا رسول الله! زَنَيْتُ فطهّرني!)،

فأعرض عنها لعلّها تتوب بينها وبين ربّها، فلم تُطِقْ صبرًا.

فلمّا جلس من الغد، أقبلت عليه تقول: (يا رسول الله! طهّرني!)،

فأعرض عنها فصاحت: (تريد أن تردّني كما رددت ماعزًا بن مالكٍ! والله إنّي حُبْلَى من الزّنا!).

فقال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (إذهبي حتّى تلدي)،

فذهبت وقد كبر همّها، وضعف جسدها، ودمعت عينها تعدّ السّاعات والأيّام، والآلام تلد الآلام.

فلمّا ولدت مضت إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، ثمّ وضعته بين يديه فقالت: (هذا قد ولدته يا رسول الله! فطهّرني!).

فقال: (إذهبي فأرضعيه)،

وغابت سنتين عاشتها مع ولدها يتقلّب في حضنها، فلمّا فطمته لفّته في ثيابها، وناولته في يده كسرة خبزٍ، ثمّ أتت به يمشي معها، فقالت: (هذا يا نبيّ الله قد فطمته، وقد أكل الطّعام، فطهّرني)،

فدفع النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – الصبيّ إلى رجلٍ من الأنصار، ثمّ أقام عليها الحدّ }.

ولّما قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : (**أَتُصَلِّي عليها يا رسول الله؟**)،

قال عليه الصّلاة والسّلام: (**لقد تابت توبةً، لو تابها سبعون من أهل المدينة لَقُبِلَ منهم، هل وَجَدْتَ أفضل من أنّها جادت بنفسها في سبيل الله**).

وفي روايةٍ حين سبّها خالد بن الوليد – رضي الله عنه – ، قال النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – : (**لقد تابت توبةً لو تابها صاحب مَكْسٍ لَقُبِلَتْ**).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعَمِهِ، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

لا بد أن نحذر أن يكون المال الكثير حاجزًا دون توبتنا، ينبغي أن نحذر أن يكون المنصب الكبير حائلاً دون توبتنا.

وينبغي أن نحذر، وإخواتي الكريمات، أن يكون الجمال حاجزًا دون لبس الحجاب بحجّة أنّه يخفي جَمَالَكُنَّ.

ومثله ملك الغساسنة، جَبَلَةَ بن الأَيْهَمِ، آخر ملوك الغساسنة، أسلم في عهد عمر – رضي الله عنه – ، وأراد العمرة، فلمّا طاف بالكعبة وطئ رداءه رجلٌ من فزارة، فالتفت إليه ولطمه لطمةً انكسر أنف الفزاري، فذهب الفزاري إلى عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – واشتكى إليه، فاستدعى عمر جبلة، وقال له: (**ما قولك في شكايته؟**)،

قال جبلة: (**أَيَطَأُ ردائي وهو سوقةٌ، وأنا ملكٌ؟**)،

قال عمر – رضي الله عنه – : (**أما إنّك اعترفت، فلا بدّ من القصاص أو يعفو عنك**)،

قال جبلة: (**إذن أرجع عن ديني!**)،

قال عمر: (**ما للرّدّة إلاّ القتل**)،

قال: (**أمهلني إلى الغد**)،

وفي المساء فرّ مع خدمه وارتدّ إلى النّصرانيّة.

وانظروا إلى توبة إبنٍ من أبناء رؤوس الكفر، عكرمة بن أبي جهلٍ، أبوه لطالما حارب رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – وكاد له، وألّب عليه قريشًا كلّها.

عكرمة هذا بعد فتح مكّة، راح يقوم بالكرّ والفرّ محاربًا رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، فلمّا آيس هرب إلى اليمن، فجاءت أمّ حكيمٍ امرأة عكرمة وقد أسلمت في فتح مكّة، فقالت: (**يا رسول الله! قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله، فَأَمِّنْهُ**)،

فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**هو آمنٌ**)،

فخرجت أمّ حكيمٍ في طلبه فأدركته، وقد انتهى إلى ساحلٍ من سواحل تهامة، فجعل صاحب السّفينة يقول له: (**أَخْلِصْ!**)،

قال: (**أيّ شيءٍ أقول؟**)،

فقال: (**قل لا إلـٰه إلاّ الله**)،

قال عكرمة: (**ما هربت إلاّ من هذا!**)،

فجاءت أمّ حكيمٍ فقالت: (**يا بن عم! جئتك من أفضل النّاس، وأبرّ النّاس، وخير النّاس، لا تهلك نفسك، قد استأمنت لك رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –**)،

قال: (**أنتِ فعلتِ؟**)، قالت: (**نعم**)،

فرجع معها، وجعل عكرمة يطلب قربها فَأَبَتْ، وتقول: (**إنّك كافرٌ، وأنا مسلمةٌ**)،

فيقول: (**إنّ أمرًا منعك منّي لأمرٌ كبيرٌ!**)،

فلمّا رأى النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – عكرمة وثب إليه، وما على النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم – رداءً، فرحًا بعكرمة، ثمّ جلس رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – فوقف عكرمة بين يديه، ثمّ قال عكرمة: (**أشهد أن لا إلــٰه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله**)، فَسُرَّ بذلك رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ، ثمّ قال: (**يا رسول الله! علّمني خير شيءٍ**)،

فقال: (**تقول أشهد أن لا إلــٰه إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله**)،

ثمّ قال عكرمة: (**ثمّ ماذا؟**)،

قال: (**تقول أُشْهِدُ الله، وَأُشْهِدُ من حضر أنّي مسلمٌ مهاجرٌ**)،

فقال ذلك عكرمة، فقال: (**لا تسألني اليوم شيئًا أعطيه أحدًا إلاّ أعطيتكه**)،

فقال عكرمة: (**فإنّي أسألك أن تستغفر لي كلّ عداوةٍ عاديتكها، أو مسيرٍ وضعت فيه، أو مقامٍ لقيتك فيه، أو كلامٍ قلته في وجهك أو وأنت غائبٌ**)،

فقال رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**اللّهمّ اغفر له كلّ عداوةٍ عادانيها، وكلّ مسيرٍ سار فيه إلى موضعٍ يريد بذلك المسير إطفاء نورك، واغفر له كلّ ما نال منّي من عرضٍ في وجهي أو أنا غائبٌ عنه**)،

فقال عكرمة: (**رضيت يا رسول الله، أما والله يا رسول الله، لا أَدَعُ نفقةً كنت أنفقتها في صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً كنت أقاتل في صدٍّ عن سبيل الله إلاّ أبليت ضعفه في سبيل الله، ثمّ أَجْتَهِدُ في القتال حتّى أُقْتَلَ**)،

فما زال يقاتل في سبيل الله حتّى قُتِلَ رحمه الله، لمّا كان يوم اليرموك ضد الرّوم، ترجّل عكرمة، فقال له خالدٌ: (**لا تفعل! فإنّ مصابك على المسلمين شديدٌ**)،

فقال: (**دعني يا خالد! فإنّه كانت لك سابقةٌ مع رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم –**)،

ثمّ قاتل قتالاً شديدًا حتّى قُتِلَ، فَوُجِدَ به بِضْعٌ وسبعون من بين طعنةٍ وضربةٍ ورميةٍ.

– إذا كان هناك تائبٌ كان يعتدي على النّاس ويسرق أموالهم، ينبغي اليوم أن يدافع عن المسروق، ويحرص أن لا يمدّ يده إلى جيوب النّاس.

– إذا كان هناك من كان يبيع المخدّرات، ينبغي أن يكون اليوم أوّل من ينهى عن المخدّرات، وينصح من غرق فيها.

أما نظرتم كيف أصبح عكرمة بعد توبته؟، هكذا ينبغي أن تكون توبتنا إلى الله تبارك وتعالى.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رِضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العَفْوَ فَاعْفُ عنّا،
اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهمّ فرّج كربة السّوريّين،
اللّهمّ فرّج محنة السّوريّين،
اللّهمّ فرّج كربة المصريّين،
اللّهمّ فرّج محنة المصريّين،
إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إلــٰـه إلاّ أنت، نستغفرك ونتوب إليك.